المختصر المفيد شرح كتاب التوحيد

الذي هو حق الله على العبيد

شرحه الشيخ:

سليمان الرحيلي حفظه الله

المدرس بالمسجد النبوي



إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70-71].

أمَّا بَعْد:

فإنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد – صلَّى الله عليه وسلم –، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

أما بعد:

يا معاشر الفضلاء، لا زلنا في باب (الدّعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله).

وقد تقدم معنا – يا إخوة – أنّ هذا الباب فيه: **تمام المقدّمات والممهِّدات لكتاب التوحيد** التي جعلها شيخ الإسلام في كليات التوحيد، التي تبيّن ما ينبغي على المؤمن تُجاه التوحيد.

←فبعد أن بيّن شيخ الإسلام:

- أهمية التوحيد، وأنّه حق الله، فهو أعظم حقّ، وهو أعظم فرض، ومن أجله خُلِق الخلق، ومن أجله بُعث الرسل.
- وبيّن فضل التوحيد، وما يكفِّر من الذنوب.
- وبيّن أن من حقَّق التوحيد دخل الجنّة بغير حساب.
- وبيّن الخوف من الشرك.

تكلَّم عن الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله؛ وهذا كله بَيَّن ما ينبغي للمؤمن تُجاه التوحيد:

- وهو أن يحبَّه، ويحب أهله.
- وأن يتعلَّمه.
- وأن يعمل به.
- وأن يَسلم ممَّا ينقُضه أو يُنقِصه، وأن يبرأ من الشرك كلّه ومن المشركين، وأن يخاف من الشرك كلّه.
- وأن يدعوَ إلى التوحيد.
- وأن يصبر على كل ذلك، وأن يعلِّق قلبه بالله – سبحانه وتعالى –.

وقد تقدم معنا شرح بعض ما يتعلّق بهذا الباب، ونكمل اليوم إن شاء الله الكلام على آخر حديث ذكره الشيخ في هذا الباب.

وَلَهُمَا [1] عَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ – رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ –، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ يَوْمَ خَيْبَرٍ[2]: ((لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ[3] غداً رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ[4]، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ))؛ فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا[5].

فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا[6]، فَقَالَ: ((أَيْنَ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟))، فَقِيلَ: ((هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ))[7]، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ[8]، فَأُتِي به[9]، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ[10]، وَدَعَا لَهُ[11]، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ به وَجَعٌ[12]، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فقَالَ: ((انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ[13] حَتَّى تنزلَ بِسَاحَتِهِمْ[14]، ثُمَّ ادْعُهُم إِلَى الْإِسْلَامِ[15] وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِم مِنْ حَقِّ اللَّهِ – تَعَالَى – فِيهِ، فَوَ اللَّهِ[16] لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً[17]، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ)) – يَدُوكُونَ؛ أي: يَخُوضُونَ –.

هذا الحديث العظيم في الصحيحين.

(1) للشيخين البخاري ومسلم.

(2) حيث حاصر النبي – صلى الله عليه وسلم – اليهود في خيبر، واستعصت الحصون على الرسول – صلى الله عليه وسلم – والمسلمين أياما، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – في يوم من هذه الأيام: (**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ**).

(3) **الراية**: ما نسميه اليوم بالعلم، تكون مع الجيش.

(4) الله أكبر ما أعظم هذا المقام: **يُحبّ الله ورسوله، ويُحِبُّه الله ورسوله**؛ والله يُحِبّ – سبحانه وتعالى –، نسأل الله أن نكون ممن أحبهم الله. والرسول – صلى الله عليه وسلم– يُحِبّ.

والجملة الأولى سبب للجملة الثانية: يُحبّ الله ورسوله؛ حبّ الله الصادق وحبّ رسوله – صلى الله عليه وسلم – الصَّادِق سبب لِأَن يحبَّك الله، ومن يحبّه الله فرسول الله – صلى الله عليه وسلم – يحبّه.

✔ ما هو الحب الصادق لله، والحب الصادق لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –؟

ليس الحبّ الصادق – يا إخوة – قول الأشعار ولا القصائد؛ وإنّما الحبّ الصادق: هو الذي يثمر حسن التقرب والاتباع، ولذلك الله – عزّ وجلّ – يقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران، 31].

إذن إذا كنت صادقًا في حب الله فاتبع رسول الله – صلى الله عليه وسلّم –، فإذا أحببت الله حبًّا دعاك إلى اتباع رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – فاتبعته، أحبّك الله؛ الحب الذي يدعو إلى الاجتهاد في طاعة الله، ولذلك الله – عز وجل – يقول: ((وما تقرب عبدي إليّ – في الحديث الذي أخبر به النّبيّ – صلى الله عليه وسلم – عن ربه – بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه)).

إذن حبُّك الصادق لله وحبك الصادق لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – علامته أن تجتهد في طاعة الله؛ أمّا الذي يعصي الله، يشرب الخمر، ويزني، ولا يكاد يعبد الله إلا قليلًا، وإذا قلت له يا رجل أنت مسلم، قال: أنا أحب الله. قلنا هذه دعوى، هذا كذب؛ إذا أحببت الله حبًّا صادقًا، اقتضى منك الاتباع وحسن الطاعة، وإذا أحببت رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – حبًّا صادقًا اقتضى منك حسن اتباعه – صلى الله عليه وسلّم –، أحبك الله.

فهذه المنزلة – يا إخوة – ليست عصية أن يحبك الله، الأمر ليس عصيًّا، الأمر يحتاج إلى إخلاص، وحسن متابعة، واجتهادٍ في الطاعة.

إذا أخلصت لله، وأحسنت متابعتك لرسول الله – صلى الله عليه وسلّم –، واجتهدت في طاعة الله– نلت هذه المرتبة العليّة. لكنّ هذه المرتبة فيها شهادة من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لرجل واحد: ((**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ**)).

قال العلماء: وهذه الجملة من علامات نبوة النّبيّ – صلى الله عليه وسلم –؛ لأنّه ذكر أنّه غدًا سيُفتَح الحصن، فوقع هذا، وقد فتح الله الحصن في اليوم التالي على يد هذا الرجل.

(5) باتوا يخوضون ليلتهم في هذا الرجل، وكلّهم يرجو أن يكون هو.

وهذا فيه عظيم إيمان الصحابة، وعظيم حبّهم لله، وحبّهم لرسول الله – صلى الله عليه وسلّم –؛ لأنّ نَيْل هذه المنزلة أشغلهم عن القتال، والجهاد، والفتح؛ لأنّ قلوبهم معلقة بالله.

هنا الحديث تضمن أمرين:

- **الأمر الأول**: أنّ النّبيّ – صلى الله عليه وسلّم – غدا **سيعطي الراية لرجل يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله.**
- **والأمر الثاني**: **البشارة بالفتح**. الصحابة على يقين من الفتح من خبر رسول الله – صلى الله عليه وسلّم –؛ لكن لم يشغلهم ذلك، ولم يفكروا فيه، الذي شغلهم هو من الذي سيُعطى الراية، وينال هذه المزية العظيمة بشهادة رسول الله – صلى الله عليه وسلّم –.

(6) وجاء في بعض الروايات أنّهم كانوا يتطاولون لرسول الله – صلى الله عليه وسلّم –، وهم مع إخوانهم، كل واحد يرفع نفسه لعلّ النّبيّ – صلى الله عليه وسلم – يراه فيقول تعال، حتى عمر – رضي الله عنه– كان يتطاول بين الصحابة يقول: ((ما أحببت الإمارة إلا ذلك اليوم)). ليس من أجل الإمارة؛ وإنّما من أجل هذه المنزلة العليّة بشهادة رسول الله – صلى الله عليه وسلّم –.

وهذا دليل على حبّ الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – لله وحبّهم لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

⇦ **لذلك حبّ الصحابة علامة الإيمان، الذي يحبّ الصحابة أجمعين، هذه علامة على إيمانه، والذي يبغض الصحابة أو يبغض واحدا منهم فهذه علامة على النفاق.**

(7) أصابه رمد.

والرّمد: داء يصيب العينين معروف، وأحيانا يشتدّ حتى يلصِق أطراف العينين، فلا يستطيع الإنسان أن يفتح عينيه من شدة الرمد، وهذا معروف موجود.

فعليٌّ– رضي الله عنه– كان مصابا بالرمد، وكان ذلك شديدا عليه حتى أنّه كان لا يرى من شدة الرمدّ. عندنا العامة يقولون يخيط عينه، كأنّ عينه أصبحت مخيطة بخيط لا يستطيع يفتح عينه؛ علي –رضي الله عنه– كان كذلك.

سبحان الله يا إخوة، علي – رضي الله عنه – تخلف عن النّبيّ – صلى الله عليه وسلم – في خيبر، تخلف في المدينة من أجل الرمد؛ لأنّه كان ما يرى فتخلف، ثم لما سار رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – قال: «أنا أتخلف عن الرسول – صلى الله عليه وسلّم–؟»؛ فلام نفسه، فسار إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلّم– وهو أرمد. فلمّا وصل، لما اجتمع الناس عند الرسول – صلى الله عليه وسلم – وكلّهم يتطاول لعلّه أن ينال هذه الشهادة من رسول الله – صلى الله عليه وسلّم– ، ما جاء علي – رضي الله عنه – ليس زهدا في هذه المنزلة؛ لكن لأنّه كان أرمدا ما يرى، فكيف يأخذ الراية وكيف يكون هو الذي سيُفتح عليه وهو أرمد ما يرى، وهو يرى من نفسه أنّه لا يستطيع أن يسير، فَقِيلَ: (**هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ**).

(8) جاء في بعض الروايات: (قال: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ)؛ أي أمرٌ من النّبيّ – صلى الله عليه وسلّم– فأَرسِلوا إليه من يأتي به، فأُرْسِل إليه سلمة بن الأكوع.

سلمة بن الأكوع أُرْسِل إلى علي– رضي الله عنه –، وقيل له اذهب إليه وات به، فذهب، وأتى به يقوده؛ إذن هو لم يكن يرى لذلك احتاج من يأتي به ويقوده.

(9) إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلّم– يُقاد.

(10) تفل في عينيه، وبصاق النّبيّ – صلى الله عليه وسلّم – مبارك، وكل ما انفصل عن النّبيّ – صلى الله عليه وسلم – مبارك؛ ولذلك كان الصحابة –رضوان الله عليهم – يكادون يقتتلون على وَضُوء رسول الله – صلى الله عليه وسلّم –.

وَضوء: يعني البقية من ماء وَضوء رسول الله – صلى الله عليه وسلّم –، وفيهم من سلت عَرَقَه، ووضعه في قارورة، يتداوى بها، ويداوي بها، ولما حلق النّبيّ – صلى الله عليه وسلم – شعره فرّقه على الصحابة – رضوان الله عليهم –.

⇦ فهذا لا شك فيه ويثبته عليه أهل السنة والجماعة، ويعتقده المؤمنون: **أنّ ما انفصل عن النّبيّ – صلى الله عليه وسلّم – فهو مبارك، لكن لا يوجد منه شيء اليوم.**

هؤلاء الذين يقولون عندنا شعرة من رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – عندنا قطعة من ثوب رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – كلها دعاوى لا يوجد شيء على الحقيقة اليوم.

(11) فجمع له بين الأمرين.

وهذا يا إخوة، فيه مسألة مهمة جدا، وهو أنّه في الأمراض يُشرع للمؤمن أن يجمع بين: **الدواء الحسّي وبين الرقية والدعاء.**

هنا النّبيّ – صلى الله عليه وسلّم – استعمل الدواء الحسّي، وهو أنّه بصق في عينيه، ودعا له؛ وهذا هو المشروع: اذهب إلى الطبيب، وخذ منه الدواء المعروف المعتاد، واستعمل الدواء، **ولا تنسى الدعاء والرقية.**

(12) لا إله إلا الله، يعني عوفي كأنّه لم يُصب بشيء، من أيّام وهو يشتكي الرمد لا يستطيع أن يرى من شدة الرمد، بمجرد أن بصق النّبيّ – صلى الله عليه وسلّم – في عينيه ودعا له برأ تماما، بل جاء أنّه لم يشتكي عينيه بعد ذلك إلى أن مات.

وهذه علامة من علامات نبوّة النّبيّ – صلى الله عليه وسلّم –. وسبحان الله انظروا والقدر وأنّ كل ميسر لما جعله الله له؛ علي – رضي الله عنه – أوّل الأمر تخلف في المدينة، أصلا لم يذهب، فشاء الله أن يذهب، فذهب، ساقه الله لما يُسِّر له، وما شاءه الله له، ثم لم يَحضُر المجلس الذي فيه الاختيار، فدعا به النّبيّ – صلى الله عليه وسلم –. **وهذا فيه الإيمان بالقدر مع فعل السبب؛** لأنّ الإنسان لا يدري ما المقدُور فيفعل السَّبب مع جزمه أنّ ما قدَّره الله كائن، فالإنسان يفعل الأسباب الجالبَة للخير، ويفعل الأسباب التي يجتنب بها الشَّر مع إيمانه بالقدر؛ لأنّك لا تدري ما هو المقدور.

ولذلك يا إخوة، هذا الأمر يدركه العقلاء، لو أنّ شخصا في أيِّ مكان من الدنيا جاء تحت عمارة تُهدم، وتتساقط على الأرض، ووقف، وقال: الذي يُقدِّره الله سيكون. ماذا سيقول العقلاء عنه؟

سيقولون: خبل، مجنون، في كل مكان في الدنيا.

ولو أنّ شخصا قال: أنا أحبُّ أن يكون عندي أولاد، وكل ما جلس في مجلس قال: أنا أحب أن يكون عندي أولاد، إن شاء الله في نهاية هذه السنة يكون عندي ولد، قالوا له: ما تزوجت أنت، أعوذ بالله ستزني؟ قال: لا ما يحتاج، المُقدَّر كائن، وإن قدَّر الله أن يكون عندي ولد سيكون في نهاية السنة ولو ما تزوجت؛ يذهبون به إلى مستشفى المجانين.

⇦ **ففِعل السبب مع الإيمان بالقدر دلَّ عليه الشَّرع والعقل، وكلٌّ سيُيَسَّر لما شاءه الله له.**

ولذلك يا إخوة، نتنافس ولا نتحاسد؛ لأنّ التَّنافُس هو فعل الأسباب، ولا نتحاسد؛ لأنّه عند الوُقوع نعلم أن ما وصل إلى أخي والله لم يكن لي أبدا، ما كان لي، وصل لأخي هو له، فلا أحسده، ولكنّي أنافسه في بذل السبب؛ لأنّي لا أدري لمن.

(13) **على رِسْلك**: أي بأدبٍ وأناة.

وفي هذا أنّ المسلم يستعمل الأدب وما يليق به في كل مكان، إذا كان وهو ذاهب ليقاتل، يقول له النّبيّ – صلى الله عليه وسلم –: (**عَلَى رِسْلِكَ**)؛ يعني على مهلك.

فكيف الذي يذهب إلى الحج؟ الذي يذهب ليرمي الجمار؟ بعض إخواننا تراهم وهم ذاهبون لرمي الجمار كأنّهم سيذهبون إلى حربٍ شعواء، الثوب مرفوع، واليد مشمِّر الكُم، ما هو من الأدب، تسير إلى رمي الجمار بأدب وأناة تكبِّر تهلِّل. وأنت آت إلى الصلاة إذا ثُوِّب بالصلاة، وحتى لو أقيمت الصلاة، وأنت تسمع وأنت في خارج المسجد لا تسرع، لا تأتيها وأنت تسعى بل تأتيها بسكينة ووقار، أدب.

قال العلماء: (**عَلَى رِسْلِكَ**) تتضمَّن: أن لا يرفع الصوت، ولا يصيح؛ وإنّما يسير بأدبٍ وأناة، بسكينة ووَقار.

وفي رواية أنّ النّبيّ – صلى الله عليه وسلم – قال له:((امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك، فسار علي شيئا ثم وقف – رضي الله عنه وأرضاه، لا يحبّه إلّا مؤمن – ولم يلتفت، فصرخ: (على ماذا أقاتل الناس؟))).

ما التفت ليسأل، مع أنّ هذا الالتفات للسؤال؛ لأنّ النّبيّ – صلى الله عليه وسلّم – قال: (امش ولا تلتفت)، وهذا حب الصحابة الصادق للرسول – صلى الله عليه وسلّم– حسن الاتباع، ليس بالابتداع ولا بالأهواء والمخالفات؛ بحسن الاتباع.

صحابي يأتي خارج المسجد فيسمع النّبيّ – صلى الله عليه وسلّم – يقول للصحابة: اجلسوا، فيجلس خارج المسجد؟.

علي – رضي الله عنه – هنا قال له النّبيّ – صلى الله عليه وسلّم –: (امش ولا تلتفت) فأراد أن يسأل، يتعلم، يعرف ماذا سيكون؛ لكنّه لم يلتفت، ولم يلوِ رأسه، بل وقف متوجها في طريقه، وقال: (على ماذا أقاتل الناس؟)، أو قال: (أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟)، يسأل.

(14) **السَّاحة**: أي حتى تصل إلى قُرب الحصن؛ فكأنّ الذي بجوار الحصن ساحة له.

(15) يعني ادعهم إلى التوحيد، **فدلّ ذلك على أنّ من لم يوحّد لم يسلم أصلا، وإن صلى وصام**، لكنّه لم يوحد لم يسلم؛ لأنّ النّبيّ – صلى الله عليه وسلّم – قال: (ثُمَّ ادْعُهُم إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِم مِنْ حَقِّ اللَّهِ – تَعَالَى – فِيهِ): إذن دلّ ذلك على أنّ **الإسلام هو التوحيد**، ثم يخبرهم بعد ذلك بما يجب عليهم، كما في حديث معاذ تماما.

وفيه أنّ مقصود المسلم أن يدعو إلى الله حتى بالجهاد، فهؤلاء اليهود كانوا في المدينة، وكانوا يسمعون النّبيّ – صلى الله عليه وسلم –، ودُعُوا، ثم اجْلُوا إلى خيبر؛ ومع ذلك النّبيّ – صلى الله عليه وسلّم – يأمر عليا – رضي الله عنه – أن يدعوهم مع سبق الدعوة فهذا مشروع؛ لأنّ المقصود الدعوة إلى الله، أن يدخلوا في دين الله.

(16) سبحان الله من الذي يقسم؟ النّبيّ – صلى الله عليه وسلّم –.

هل يحتاج النّبيّ – صلى الله عليه وسلّم – أن يقسم؟

لا، والله، المؤمن يصدق النّبيّ – صلى الله عليه وسلّم – في خبره؛ لكن هذا ليؤكد الأمر، **والنّبيّ – صلى الله عليه وسلّم – يقسم على الأمور المهمة**؛ ولذلك يُستحبّ للعالم في الأمور المهمة ولا سيما التي يُنازع فيها، وهي أمور مهمة في الدين أن يقسم، فيقول: والله؛ أو يقول: والله، والله؛ أو نحو ذلك في الأمور ذات الشأن ولا سيما ما يظهر فيه التقصير في الأمة مع أهميته.

النّبيّ – صلى الله عليه وسلّم – يقول: «والذي نفسي بيده لا يدخل أحدكم الجنة حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تحابوا؛ أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» رواه مسلم، يقول: «والذي نفسي بيده لينزل فيكم عيسى بن مريم» رواه البخاري ومسلم.

⇦ **فالنّبيّ – صلى الله عليه وسلّم – كان يقسم على المهمّات، وفيه استحباب القسم على العلم عند الحاجة.**

(17) رجل واحد تكون سببا في هدايته إلى الإسلام.

وانتبهوا يا إخوة، (فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ): فاجتمعت الهدايتان: هداية التوفيق وهداية السبب.

هداية التوفيق: لله لا يملكها أحد، لا الأنبياء، لا الملائكة، لا أحد يملك هداية التوفيق إلا الله. ولذلك لا يُلام أحد على هداية التوفيق، بعض الناس يرى رجلا عالما مجتهدا في الدعوة غير مقصِّر مع أبنائه؛ ولكن يجد أنّ له ابنا فاسقا، فيلوم العالم على هذا، فيقول: ابنه فاسق. ويقدح في العالم بسبب هذا.

هداية التوفيق لا يلام عليها أحد؛ لأنّها بيد الله — سبحانه وتعالى –، ولذلك قال النّبيّ – صلى الله عليه وسلم –: (**فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ**)، فهداية التوفيق بيد الله.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾[القصص: 56]: إنّك يا محمد – صلى الله عليه وسلم–، خير من بيَّن للناس– صلى الله عليه وسلم – لا يهدي من يحب هداية التوفيق؛ ولكنّه يهدي إلى صراط مستقيم؛ هداية البيان.

(**لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ**): هذه هداية التوفيق. (**بِكَ**) :هذه هداية البيان — السبب –.

وهداية البيان: تقع من الإنسان، فإذا بيَّنَ فهذه هداية البيان؛ فالدعاء إلى الله على بصيرة بيدهم هداية البيان. أمّا هداية التوفيق فبيد الله.

ولذلك الداعية يدعو إلى الله بما شرع الله رجاء أن يهدي الله عباده، يدعو إلى الله فلا يدعو إلى نفسه، بما شرع الله فلا يبتدع، رجاء أن يهدي الله من شاء من عباده؛ وإلا فهو لا يملك شيئا، والله لو دعا ليلا ونهارا هو لا يملك إلا هداية البيان؛ أما هداية التوفيق فهي بيد الله –سبحانه وتعالى–.

(18) **حُمْرِ النَّعم**: يعني الإبل الحمراء، والإبل الحمراء هي كنز العرب، أحسن مال عند العربي الإبل الحمراء.

فمقصود النّبيّ – صلى الله عليه وسلم –: فو الله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أموال الدنيا؛ لأنّ هذا فضل من الله ورحمة، وفضل الله ورحمته على العبد خير ممّا يجمعه الناس.

نعم، يا عبد الله، لا تحقرنّ نعمة الله عليك إن رأيت أنّك فقير، فإنّه إذا أنعم الله عليك بفضله فكنت من العُبَّاد، وأنعم الله عليك برحمته فذلك خير لك ممّا يجمعون، ممّا يجمعه الناس من جميع الكنوز. ولذلك تقدم معنا أنّي قلت لكم ثبت عن النّبيّ – صلى الله عليه وسلم – أنّه قال: «لا بأس بالغنى لمن اتقى، والصحة لمن اتقى خير من الغنى» ، لا بأس بالغنى لمن اتقى، لا بأس بالمال لمن اتقى الله، ولا يعاب بل هذا خير؛ لكنّ الصحة – وهذه نعمة من الله – خير من الغنى لمن اتقى. فإذا كنت متقيا لله فذاك خير لك من أموال الدنيا.

إذن إذا هدى الله بك رجلا واحدا فأنت من أغنياء الدنيا؛ لأنّ الذي فعلته خير لك من الأموال النفيسة، لو عرفنا أنّ رجلا اليوم حُوِّل إلى رصيده مال كثير جدا، وآخر أسلم على يده اليوم رجل، هذا أغنى من هذا؛ لأنّ الذي حصل لهذا خير ممّا حصل لهذا بشهادة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (**خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**)؛ يعني: خير لك من نفيس الأموال.

وفي هذا – يا إخوة – فضل الدعوة إلى التوحيد، فلو لم تخرج من الدنيا إلا بأن هدى الله بك رجلا واحدا إلى التوحيد والسنة لكنت من الفائزين، فكيف إذا أنعم الله عليك فاهتدى بسببك رجلان، أو اهتدى ثلاثة، أو اهتدى أربعة.

ولذلك يا إخوة، المؤمن لا يقف ليسأل هل الدعوة واجبة علي أو ليست واجبة علي؟

المؤمن يبحث عن فضل الله، عن هذه المنزلة العظيمة.

وفي هذا أنّ الإنسان يدعو إلى الله بما يعلم، ولا يجوز أن يُمنَع أحد من أن يدعوَ إلى الله بعلم، بمقدار ما علم، بأي حجّة من الحجج.

الذين يقفون في وجه إخواننا الذي يدعون إلى التوحيد والسنة، ويقولون: **ما يجوز لك حتى تأتي بتزكية من عالم فلاني أو العالم الفلاني**، والله هذا لا يجوز، ما دام أنّه يدعو إلى التوحيد والسنة بعلم، ويقف عند علمه، لا يجوز لك أن تقف في وجهه.

الذي يفعله بعض إخواننا من إيقاف بعض دروس العقيدة من أناس يُعرَفون بالعقيدة والسنة في بلادهم بحجة أنهّم لم يحصلوا على تزكية من مشايخنا في السعودية؛ هذا لا يجوز، هذا قطع طريق في وجه هذا الفضل العظيم.

نعم، لا يؤخذ العلم إلا من مُزّكى؛ لكن ليس شرط التزكية أن يأخذ تزكية من معين؛ بل التزكية سبق مرارا بيّنا كيف تكون. ولكن من كان معروفا بالتوحيد، معروفا بالسنة، لا يخالف العلماء، يدعو إلى ما علم، يقرر ما علم؛ والله إنّه من خيرة عباد الله، ولا يحتاج أن يزكى تزكية خاصة، فإن حصلت له تزكية خاصة فهذا نور على نور.

أنا والله لا زلت أتألم مما حصل لأحد طلاب الجامعة الإسلامية، من طلابنا نعرفه طالب علم مجتهد، جزاه الله خيرا، لازال في الطلب لكن مجتهد، يقول: يا شيخ أنا أذهب إلى بلادي، وبلاده يعني الإسلام ليس فيها الغالب، ذهبت إلى قرية أدعوهم إلى الإسلام، كفار ذهبت أدعوهم إلى الإسلام بما تعلمت في الجامعة في السنتين الماضيتين، وما تعلمت من دروسك ودروس الشيخ عبد المحسن...، فجاءني بعض الإخوة وأنكروا علي، قالوا: **ما يجوز أن تدعوهم إلى الإسلام حتى تأتي بتزكية. سبحان الله! هذا ليس طريق العلماء، ليس طريق المشايخ**؛ ولكن فهم بعض طلاب العلم لبعض كلام المشايخ هو الذي فيه الخطأ.

يا إخوة، الدعوة إلى الله على بصيرة، الدعوة إلى التوحيد والسنة شرف عظيم، يجب علينا أن نتعاون فيه، من وجدناه يدعو إلى التوحيد والسنة على بصيرة بمقدار ما علم لا يُعرف له مخالفة للعلماء لا يعرف عنده طعن في العلماء، نشجعه ونقول له استمر، وهذا الذي رأيناه من مشايخنا جميعا الذين تعلمنا عليهم، سواء من كانوا في الجامعة أو خارج الجامعة؛ ومن وجدنا فيه انحرافا عاملناه بمقدار ذلك شرعا.

(**فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً**): تعلمت التوحيد هنا، تعلمت التوحيد في الجامعة، وذهبت إلى بلادك ترى الناس غرقى، فترى من أهلك، من أهل بلادك من يدعو غير الله ويذهب إلى القبور، ويستغيث بغير الله؛ وأنت تجلس بدم بارد تقول: (ما عندي تزكية) !

الله أمرك والرسول – صلى الله عليه وسلم – أمرك، علِّم الناس بمقدار ما عندك، ولا يجوز لأحد أن يقف في وجهك، وقف حيث علمت، وكن سائرا خلف العلماء لا ترفع نفسك فوقهم، ولا تتعالم أمام العلماء؛ وإنّما تدعو إلى الله – عزّ وجلّ – على بصيرة، وهذا الوسط، وهذا الاعتدال؛ وهذا الذي ندعو إليه، وهذا الذي نجاهد فيه، وهذا الذي نصبر عليه رجاء أن نرضي الله – سبحانه وتعالى –.

فيه مسائل:

الأولى: الدعوة إلى الله طريق من اتبعه – صلى الله عليه وسلم –.[19]

الثانية: التنبيه على الإخلاص؛ لأنّ كثيرا لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه.[20]

---

(19) بل طريقه – صلى الله عليه وسلم – الدعوة إلى الله، الدعوة إلى التوحيد طريق النّبيّ – صلى الله عليه وسلم – وطريق من اتبعه، كما تقدم معنا في الآية: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾؛ أي طريقي، ومنهجي، وسنتي، ودعوتي، وديني؛ ﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾.

(20) نعم، يا إخوة، الإخلاص رأس المال، الكنز، في كل عبادة تنبه للإخلاص؛ في الصلاة، في الصوم، في الحج، في الزكاة، في الدعوة إلى الله تنبه إلى الإخلاص؛ لأنّ الشيطان حريص على إفساد الإخلاص.

وتقدم معنا أنّ الشرك الأصغر – الرياء – خفيّ، يتسلل كدبيب النمل، وبعض الناس يدعون إلى الحق – لأنّ بعض الناس – والعياذ بالله – يدعو إلى الباطل، هذا ضلَّ ضلالا مبينا، الذي يدعو إلى البدع أمام السنة، ويحارب السنة، ويحارب أهلها، ويعقد المؤتمرات من هم أهل السنة؛ ليقرر أنّ أهل البدع هم أهل السنة، هذا ضل ضلالا مبينا، يدعو إلى الباطل ويقرر الباطل – لكن قد يدعو الإنسان إلى الحق؛ لكن لا يدعوا بحق، قد يدعو إلى التوحيد؛ لكن بغير إخلاص، فلا يكون داعيا لله، ينتفع الناس بدعوته؛ ولكنّه هو لا ينال خيرا بهذه الدعوة.

فيجب علينا يا إخوة، في دعوتنا أن نعرف أنّا ندعو إلى حق، وأنا ندعو إلى الله؛ وهذا الإخلاص، لا لأنفسنا، ولا إلى جماعاتنا، ولا إلى شيوخنا، ندعو إلى الله، وينتفع بالحق أهل الحق؛ ولكن الدعوة إلى الله، وأن تكون دعوتنا إلى الحق بحق، فنلتزم سبيل النّبيّ – صلى الله عليه وسلم – ؛ وأن لا ندعو إلى الله ببدعة، وأن لا ندعو إلى الله بما خالف طريق رسول الله – صلى الله عليه وسلّم –.

الثالثة: أن البصيرة من الفرائض.[21]

الرابعة:من حسن التوحيد أنه تنزيه له – تعالى – عن المسبّة.[22]

---

(21) الداعية إلى الله يجب أن يدعو إلى الله على بصيرة؛ **لأنّ الذي يدعو على غير بصيرة إمّا أن يَضل، وإمّا أن يُضل، وإمّا أن يبعد الحق عن الناس.**

إمّا أن يَضِل؛ لأنّه بغير علم فيخبط، وإمّا أن يُضِل غيره، وإمّا أن يبعد الحق عن الناس؛ لأنّه بغير علم، فإذا قام يتكلم عن التوحيد بغير علم، وقد يسب الناس: (يا مجانين، البهائم أحسن منكم، أنتم مشركون، أنتم أولى بالنار من كفار قريش)؛ يَنفر الناس من الحق، وينفر الناس منه، وينفر الناس من أمثاله، فإذا جاء داعية يدعو إلى التوحيد ببصيرة أول ما يبدأ يتكلم عن التوحيد يهربون من المسجد يتذكرون ذاك؛ لكن الداعية على بصيرة يحقق المقصود شرعا.

✔ ما الدليل على أن البصيرة فريضة كما قال الشيخ؟

الدليل أن الله – عزّ وجلّ – قال للنبّيّ: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف:108] فهذه وقعت موقع الشرط، فشرط الدعوة إلى الله البصيرة؛ والدعوة إلى الله في الجملة واجبة، فشرطها واجب ووسيلتها واجبة وفريضة.

(22) الله أكبر! التوحيد – يا إخوة – كله حسن، التوحيد كله حسن، حسن في ذاته، حسن في أثره على الفرد والأمة، الموحد أكثر الناس طمأنينة في الدنيا. والأمة لو وحدت لكانت أقوى الأمم، التوحيد كله حسن، وكيف لا يكون حسنا وهو حق ربنا – سبحانه وتعالى –.

ومن حُسنِه أنّ في التوحيد تنزيه الله عن المسبّة؛ لأنّك وأنت موحد تقول بلسانك: لا إله إلا الله، لا معبود بحق إلا الله؛ وبعملك تحقق ذلك، وتقول: سبحان الله، كما في الآية.

وتنزيه الله عن المسبّة من أعظم الأعمال الصالحة. ولذلك لو علمنا أنّ سبّنا لآلهة الكفار التي تستحق السبّ يترتب عليه سبّ الله، حَرُمَ علينا أن نسب آلهة الكفار: ﴿ وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : 108].

حَرُمَ علينا أن نسب آلهة الكفار التي تستحق السبّ؛ لأنّ من آلهة الكفار ما لا يستحق السب؛ عيسى– عليه السلام – يعبده بعض الناس وهم كفار، عيسى– عليه السلام –لا نسبّه، الملائكة يعبدهم بعض الناس فهم آلهة من دون الله لبعض الناس؛ لكن لا نسبهم.

سبُّ آلهة الكفار التي تستحق السب مشروع؛ لكن إذا علمنا أنّا إذا سببنا آلهة الكفار سبوا ربنا، فإنّه لا يجوز أن نسب آلهة الكفار.

نقرر التوحيد ونقرر البراءة من الشرك وأهله؛ لكن لا نسب آلهة الكفار.

كذلك لو علمنا أنّ سبّنا لدين غيرنا سيترتب عليه سب نبيّنا وسبّ ديننا يقينًا أو غلبة ظن، فإنّا لا نسبُّ دين غيرنا.

نقرر ديننا، ونقرر التوحيد، ونقرر الحق، ونقرر أنّ غير الإسلام باطل؛ لكن لا نسبّ السب الذي يترتب عليه سب قرآننا، وسب ديننا، وسب نبيّنا – صلى الله عليه وسلم –.

⇦ **وهذا من أصول ديننا العظيمة تنزيه الله عن المسبّة لا بالفعل ولا بالتسبب، وتنزيه دين الله عن المسبّة، وتنزيه نبيّ الله – صلى الله عليه وسلم – عن المسبّة.**

الخامسة: أنّ من قُبح الشرك كونه مسبّة لله.[23]

---

(23) **أكبر السبّ لله الشرك**، بعض الناس لو سمع رجلا يسب الدين يستقبح هذا، وهو قبيح جدا؛ لكنه يذهب للقبر، ويذبح للقبر، وهذا الذي يفعله أعظم سبّا لله من سب ذاك؛ لأنّ الشرك بالله أعظم السب، أعظم السب وأعظم الإثم أن تجعل لله ندا وهو خلقك.

فممّا يدلك على قبح الشرك أنّ فيه سب لله – سبحانه وتعالى –، وسيأتينا إن شاء الله أنّ الإنسان الذي يأتي إلى صاحب القبر ويقول: (يا سيدي فلان المدد، يا سيدي فلان الولد) أنّ هذا في الحقيقة يسبّ الله؛ لأنّه يسيء الظن بالله، ويجعل الله كبعض خلقه الذين يحتاجون إلى الوسائط؛ والله – عزّ وجلّ – يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة، 186]، سبحان الله، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، والذي يحتاج إلى الوسائط أيّا كان نوعهم هذا البعيد الذي يحتاج من يوصل.

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾: ما من موحد يدعو الله إلّا ويجيب الله دعاءه بما فيه خيره، والذي يحتاج إلى واسطة هو الذي يميّز؛ إذا جاءه وزير، وقال له: ولد فلان هذا، ولد جيراننا وظفه، قال: وظفوه؛ وإذا جاء الفقير، ورفع ورقة، قال: وظفوني، قال: لا، ما له واسطة.

أمّا الله – عزّ وجلّ – فيجيب دعوة كل داعي موحد فلا يحتاج إلى واسطة، فالذين يتخذون وسائط بينهم وبين الله، ويقولون: ساداتنا هؤلاء، أولياؤنا هؤلاء، أصحاب القبور هؤلاء واسطة بيننا وبين الله، هم فقط وسيلة، سيأتي إن شاء الله بيانها، هم فقط وسيلة، هؤلاء يسبون الله أعظم السب؛ لأنّهم يردون قول الله، ويكذبون قول الله – عزّ وجل –، ويشركون بالله – سبحانه وتعالى– ، وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله.

السادسة: وهي من أهمها: إبعاد المسلم عن المشركين؛ لا يصير منهم، ولو لم يشرك.[24]

السابعة: كون التوحيد أوّل واجب.[25]

الثامنة: أنّه يُبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة.[26]

التاسعة: أنّ معنى (أن يوحدوا الله): هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله.[27]

---

(24) المشرك داء معدي، والموحد لا يكون من المشركين، فلا يشرك، ولا يكون منه، ولا يكون معهم، بل يبرأ إلى الله من الشرك ومن أهله. وسيأتينا هذا في درس الغد إن شاء الله.

(25) لأنّ النّبيّ – صلى الله عليه وسلم – أمر معاذا أن تكون دعوته مبنية على التوحيد، فأوّل ما يدعوهم إليه أن **يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله**؛ لم يوجب عليهم النظر، ولم يوجب عليهم الشك، ولم يوجب عليهم ...؛ وإنّما أوجب عليهم: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله؛ **فأوّل واجب وأعظم واجب هو التوحيد**.

(26) كما في حديث معاذ.

(27) فشهادة (لا إله إلا الله) معناها التوحيد، كما سيأتينا إن شاء الله، وقد قدمت لكم في حديث معاذ ما يدل على هذا من اختلاف الألفاظ.

العاشرة: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها.[28]

الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدرج.[29]

---

(28) بمعنى أنّ الإنسان قد يجهل معنى (لا إله إلا الله) مع أنّه يرددها ليلا ونهارا، بل قد يقول (لا إله إلا الله) وهو لا يحققها؛ يعني بعض الناس يأتي عند القبر يلتمس الرزق والولد والخير من صاحب القبر، وهو يقول: لا إله إلا الله.

فهؤلاء اليهود والنصارى في اليمن ما كانوا يعرفون الله؛ لأنّ النّبيّ – صلى الله عليه وسلم – قال: (فإذا عرفوا الله) مع أنّهم عندهم شيء من الكتاب؛ لأنّ من لم يوحد الله لم يعرفه حقيقة وإن عرفه ظاهرا أو باللفظ، فلا بد من التوحيد لما تقدم في حديث معاذ.

(29) وهذا من أهم ما يكون، التعليم بالتدرج هو سبب لإيصال الحق إلى الناس؛ لأنّ الناس لو أتيتهم بالشيء جملة واحدة قد يثقل عليهم، لكن لو درّجتهم فأتيتهم بالأول، الأهم، ثم المهم، ثم المهم– فإنّهم يقبلون ذلك.

وهذا أيضا مهم في تعليم الأبناء، ينبغي أن نعلّم الأبناء بالتدرج، نعلمهم بالترغيب، ثم ننتقل إلى ما بعده: ((مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر)).

← (مروهم بالصلاة لسبع): فإذا بلغ الطفل سبع سنين آمُره بالترغيب، والترغيب يكون إجمالا وتفصيلا، فتقول له مثلا: الذي يحب الله يُحبه الله ويدخله الجنة،

الصلاة يحبها الله، والله يحب المصلين، ثم تأمره بالصلاة بالترغيب وتتدرج، ثلاث سنين وأنت تُرّغب بلا نهر، ولا كره، ولا ضرب، ولا شيء.

← فإذا بلغ عشر سنين تنتقل إلى الوسيلة الأخرى التي هي الضرب.

وكذلك في التعليم تبدأ بأن تعلمه الصلاة، طبعا تبدأ بأن تعلمه التوحيد بما يناسب سنه، ثم تعلمه الصلاة، لا تشغله بشيء آخر إن كان لا يستطيع، ابن السبع سنين إذا كان الصوم يشق عليه وينفر منه، أو يجعله يستثقل الصلاة لا تأمره بالصيام، آمره بالصلاة إلى أن ترى أن الصلاة قد استقرت في نفسه مره بالصوم إذا كان يطيق؛ وهكذا.

لعلنا نقف هنا، ونكمل غدا إن شاء الله.

والله أعلم

وصلى الله على نبينا وسلم.